الفاصلة القرآنية وأثرها في البنية الإيقاعية للخطاب القرآني

أ/ سليم مزهود

قسم اللغة والأدب العربي

المركز الجامعي–ميلة–

الملخص

استعملت الفاصلة اصطلاحاً بشكل واضح في النحو والعروض، وعلامات الترقيم وعلوم القرآن، وعرفت على أنها حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني، تقع في آخر كل آية أو جملة.

وتعدّ الفاصلة شكلاً من أشكال القافية، إذ إنّ البناء الصوتي للفاصلة يكاد يكون مماثلاً للبناء الصوتي للقافية التي تتشكل في تكرار صوتي في آخر كل بيت شعري أو آخر شطره، إلاّ أن الفاصلة أكثر ارتباطاً بالجانب الإيقاعي من قرينة السجع، والسجع يطلق على نهاية جملة النثر.

ومدلول الفاصلة القرآنية ينساب مع ما قبلها، مما يعطي نسقا جميلا، ونغما روحانيا رائعا، ويوجب للمعنى فهما أكثر دقة ووضوحا.

إن للفاصلة القرآنية وظيفتين، واحدة متعلقة بالبلاغة، وأخرى متعلقة بجمال الإيقاع، ولا يجوز القول إن الفاصلة جاءت لتتفق مع رؤوس الآيات الأخرى فقط دون الانتباه للغرض المعنوي

ولا تقتصر الفواصل القرآنية على نسق الإيقاع وانسجام النغم وإنما تضاف إليه الأغراض البلاغية، والمعاني الخفية والقوية، ولها نغمات نفسية ومعنوية، وإيقاع يعطي الإنسان روحاً، ويحس عندها بمتعة فنية مؤثرة تبث في الفؤاد الطمأنينة والارتياح.

وأبرز ظواهرها الصوتية في الخطاب القرآني هي: ألف الإطلاق، وهاء السكت، الهاء وحذف ياء المتكلم، وحذف آخر حرف العلة والتقديم والتأخير، والانتقال من فاصلة إلى أخرى.

عُنِيَ علماء اللغة العربية في نهاية القرن الأول الهجري بالحروف العربية، بدْءاً من تعلّم الناسِ القرآنَ الكريم وظهور اللحن في القراءة، فبينوا طريقة نطق المخارج وفرقوا بين الصوت والحرف والمقطع، الذي تتشكل من خلاله الفاصلة القرآنية، وهي آخر كلمة في الآية كالقافية في الشعر، والسجع في النثر، ويتمثل أثرها في إعطاء الآية جرساً موسيقياً مناسباً لذا عني القرآن بتوافقها في كثير من السور والآيات، لكونها النوع الذي يباين القرآن به سائر كلام العرب.

والسؤال المطروح هو: ما مفهوم الفاصلة القرآنية في الخطاب القرآني؟، وما هي أبرز الظواهر الصوتية الواردة في فواصل آياته؟

أولا؛ تعريف الفاصلة لغة واصطلاحاً:

أ–تعريف الفاصلة لغة:

الفاصلة في اللغة مشتقة من مادة (فَصَلَ) وجمعها فواصل، وهي الخرزة تفصل بين الجزرتين في العقد، والفصل الحاجز بين الشيئين، فصل بينهما يفصل فصلاً وفصلت الشيء فانفصل؛ أي قطعته[1]، والفصل في اللغة بون ما بين الشيئين والفصل من الجسد موضع المفصل[2]

والفاصلة: الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام، والفصل: القضاء بين الحق والباطل، وعقد مفصل، أي جعل بين كل لؤلؤتين خرزة[3]

ب–تعريف الفاصلة اصطلاحاً:

استعملت الفاصلة اصطلاحاً بشكل واضح في النحو والعروض، وعلامات الترقيم وعلوم القرآن.

وقد عرفت الفاصلة القرآنية تعاريف كثيرة وخاض فيها العلماء والأدباء وقاموا بدراستها كثيراً فبينوا فيها غايتها الإيقاعية[4].

والفاصلة القرآنية هي: (حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني)[5].

ج– تعريف الفاصلة عند القدماء:

عرّف الرماني (ت:386هـ) الفاصلةَ بقوله: (الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني)[6].

والفاصلة اصطلاحا هي (واصل حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني)، بحسب تعريف القاضي أبي بكر الباقلاني (ت:403هـ)[7]

والفاصلة في القرآن الكريم هي آخر كلمة في الآية، كالقافية في الشعر، وقرينة السجع في النثر، خلافاً لأبي عمرو الداني (ت:444هـ) الذي اعتبرها كلمة في آخر الجملة[8] إذ قد تشتمل الآية الواحدة على عدة جمل، وليست كلمة آخر الجملة فاصلة لها، بل الفاصلة آخر كلمة في الآية، يعرف بها نهاية آية، وبداية آية جديدة بتمام الآية السابقة.

والفاصلة عند الزركشي (ت:794هـ) هي:(كلمة آخر المعنى)[9]، فهي كل كلمة ختمت بها جملة قرآنية سواء أكانت في ذلك رأسَ آيةٍ أم لم تكن، واستدلّ بالفاصلة حين لا تكون رأس آية بتمثيل سيبويه (ت796هـ) للقوافي بـ(يوم يأتِ) في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلا بِإِذْنِه فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ (هود.الآية:105)، و(ما كنّا نبغ) في قوله تعالى: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (الكهف.الآية:64) وهما غير رأس آيتين بإجماع، ومثال أن تكون الفاصلة رأسَ آية كلمة (يَسْرِ) في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾(الفجر.الآية:4)، وهي رأس آية باتفاق[10]، وأخبر الزركشي أن سيبويه كان يمثّل للفواصل اللغوية لا الاصطلاحية[11]

وعرفها جلالُ الدين السيوطي (ت:911هـ) في الإتقان فقال إنها: (كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع)[12]، إذ تشكّل الكلمة الواقعة آخرَ الآيةِ فاصلة تتشاكل حروفها ومقاطعها، فتؤثّر في تحسين المعاني وفصلها، فهي تشابه في ذلك قافية الشعر أو هي قرينة السجع، وتؤدي المعنى بأحسن أسلوب وتلخصه في أوضح عبارة يختتم بها المعنى الجزئي.

وتعدّ الفاصلة شكلاً من أشكال القافية، إذ إنَّ البناء الصوتي للفاصلة يكاد يكون مماثلاً للبناء الصوتي للقافية التي تتشكل في تكرار صوتي في آخر كل بيت شعري أو آخر شطره.

إلاّ أن الفاصلة أكثر ارتباطاً بالجانب الإيقاعي من قرينة السجع، ومن ثم فهي أكثر ارتباطاً بوظيفته، فآيات قرآن الكريم تمتلك أبنية إيقاعية شديدة الشبه بالبناء الوزني للشعر، وإن اختلفت عنه في أنها لا تخضع للتفاعيل العروضية للوزن مما يجعلها أكثر مرونة في بنائها الإيقاعي وأشد طواعية في التعبير[13].

وبعضُ ما جاء منها مما خضع للتفاعيل العروضية قليل قد كان عفويا مناسبا للسياق الصوتي للآية.

د–تعريف الفاصلة عند المحدثين:

عرّف الفاصلةَ المحدثون بأنها (كلمة آخر الآية كقافية الشعر وسجعة النثر والتفصيل هو يتوافق أوآخر الآي في حروف الروي أو في الوزن مما يقتضيه المعنى وتستريح النفوس)[14]..

قال فضل عباس(ت:2011م): (يقصد بالفاصلة ذلك اللفظ الذي ختمت به الآية، فكما سموا ما ختم به بيت الشعر قافية، أطلقوا على ما ختمت به الآية الكريمة فاصلة)[15].

وقال مناع القطان(ت:1999م): (ونعني بالفاصلة الكلام المنفصل مما بعده، وقد يكون رأس آية، وقد لا يكون، وتقع الفاصلة عند نهاية المقطع الخطابي، وسميت بذلك لأن الكلام ينفصل عنده)[16].

أما فاضل السامرائي(ولد:1933م) فيقول: (إن الفاصلة القرآنية لا يراد فيها مراعاة الحروف وإنما يراد المعنى مثل ذلك، ويلتقي الحرف المشابهة اللفظية في المعنى وأحياناً لا يراعي القرآن الفاصلة، بل قد تأتي مغايرة عن غيرها، وهذا دليل على أن المقصود بالدرجة الأولى هو المعنى)[17].

إن الفاصلة هي عبارة عن آخر كلمة أو جملة في الآية، أو هي عبارة عن حروف متشاكلة في المقطع الواحد توجب حسن إفهام المعنى.

ثانيا؛ مصطلح الفاصلة في القرآن الكريم:

اشتقَّ لفظ الفاصلة من الآيات القرآنية الآتية[18]:﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت.الآية:3)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ (فصلت:الآية:44)، ولا يجوز سيتها قافية إجماعاً، لأن الله لما سلب عن القرآن اسم الشعر، وجب سلب القافية عنه أيضاً لأنها منه، وخاصة في الاصطلاح[19]

وتكمن أهمية الفاصلة القرآنية في كونها عنصراً مهماً في تأمل الآية القرآنية وما تؤديه من وظيفة أسسها الإيقاع الموسيقي في الآيات القرآنية[20]..

ويتمثل أثر الفاصلة في إعطاء الآية جرساً موسيقياً مناسباً لذا عني القرآن بتوافقها في كثير من السور والآيات[21].

ع اهتمام العلماء بالفاصلة القرآنية لكونها النوع الذي يباين القرآن به سائر كلام العرب، إذ إنَّ الفاصلة ترتفع عن قيود القافية وسجع النثر، لينفرد بها القرآن الكريم فيتميز بها، ومحلها هو أواخر الآيات في كتاب الله عز جل

وقد اختلف العلماء في تسمية آخر الآيات بالفاصلة، إذ سماها بعضهم سجعا وعارض لفظَ السجعِ آخرون، إذ إن القرآن مترفع عن السجع لما فيه من تكلف، لاسيما وأن كثرة السجع تعد عيبا، بينما تعد الفاصلة كلما كثرت بلاغة[22].

ولا يسمى سجعاً ما ورد في القرآن متناسقَ حروف الروي والإيقاع، موحدَ خاتمة الفاصلة، بل يسمى فاصلة، (ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلام العرب، ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز، ولو جاز أن يقال: هو سجع معجز لجاز أن يقولوا: شعر معجز، فكيف والسجع مما كان تألفه الكهان

من العرب، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر، لأن الكهانة تنافي النبوّات بخلاف الشعر)[23].

وقد استبعد العلماء القدماء والمحدثون تسمية الفاصلة سجعا أو قافية، تكريما للقرآن الكريم، وترفعا أن يقاس على منظوم الناس.

وقد ردّ ابن سنان الخفاجي (ت:466هـ) جزءا من المفاضلة بين السجع والفاصلة، أثناء نقاشه عليا بن عيسى الرماني، إذ قال: (وأما قول الرماني إن السجع عيب، والفواصل على الإطلاق بلاغة فغلط، فإنه إن أراد بالسجع ما تتبع المعنى، وكأنه غير مقصود فذلك بلاغة، والفواصل مثله، وإن كان يريد بالسجع ما تقع المعاني تابعة له، وهو مقصود متكلف، فذلك عيب، والفواصل مثله... وأظن أن الذي دعا أصحابنا إلى تسمية كل ما في القرآن فواصل، ولم يسمّوا ما تماثلت حروفه سجعاً رغبتهم في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم، وهذا غرض في التسمية قريب)[24]

إن الحديث عن تعبير مسجوع في القرآن الكريم، ترفضه طبيعة النسق القرآني الكريم ففي قوله تعالى: ﴿ألهاكم التكاثر. حتى زرتم المقابر. كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون﴾ (التكاثر.الآية:1-4)، نشهد انتقالا من نسق تقف فيه الفاصلة عند الراء، إلى نسق آخر تقف فيه عند النون.

فاللفظ (المقابر) يفرض ذاته فرضاً بيانياً قاطعاً، دون النظر إلى الفاصلة في الآية الكريمة، إذ إنَّ لفظ (المقابر) في حد ذاته يجعلنا نستنتج المعاني التي تناسبه في الضد، فبضدها تعرف الأشياء، فنتذكر التكاثر في الأموال والأولاد والنساء، واللذات والسلطان والقصور والخدمِ والديار، والأنهار والزروع والثمار والوسائل المادية والمراكب والحيوان، وما إلى ذلك مما يصحبه من التفاخر، والتنابز والتنافر، والتصارع والتضارب والتسابق، وهو من معاني التكاثر.

و(المقابر جمع مقبرة، والمقبرة الواحدة مرعبة هائلة، فإذا ضممنا مقبرة مترامية الأطراف الى مقبرة مثلها، ومقبرة أخرى، ازددنا رعباً وفزعاً، فإذا أصبحت مقابر عديدة؛ تضاعف الرعب والرهب، إذن هذا التكاثر الشهواني في كل شيء، يوافقه بدقة متناهية الجمع المليوني للقبور، لتصبح مقابر لا قبوراً، ولو قيل في غير القرآن بمساواة القبور للمقابر في الدلالة لما سدّ هذا الشاغر الدلالي شيء آخر من الألفاظ، فهو لها فحسب)[25].

وهكذا نستنتج أن الصيغة البلاغية في استعمال لفظة (المقابر) لم تكن من أجل المناسبة الصوتية للتكاثر فحسب، وإنما تتعداها إلى تناسب في المعنى العميق المتشابك المتجذر.

فالفواصل القرآنية لا تقتصر على نسق الإيقاع وانسجام النغم في الفواصل القرآنية[26].

ولا يعني هذا أن الإيقاع غير مراد، وإنما تضاف إليه الأغراض البلاغية، والمعاني الخفية والقوية، ففي قوله تعالى: ﴿فأما اليتيم فلا تقهر. وأما السائل فلا تنهر﴾ (الضحى.الآية:9-10)، تقدم المفعول به الأول (اليتيم)

عن عامله الفعل (تقهر) وتقدم المفعول به الثاني (السائل) عن عامله (تنهر)، مراعاة لنسق الفاصلة من جهة ولتبيان أهمية المتقدم من جهة أخرى.

وقد رأى ابن الأثير (ت:637هـ) أن التقديم في الآية السابقة يكون لأجل الاختصاص ونظم الكلام[27]، لكن إبراهيم أنيس رأى أن التقديم جاء لمراعاة موسيقى الفاصلة القرآنية، إذ لا يصح للمفعول أن يسبق ركني الإسناد في الجملة المثبتة كما يزعم أصحاب البلاغة[28].

بينما رأى أحمد مطلوب رأيَ ابن الأثير، لأن الهدف ليس هو عدم القهر والنهر في الدرجة الأولى، وإنما هو الترفق باليتيم والسائل، ولذلك تقدم المفعولان على فعليهما، ولو كان القصد غير ذلك لتأخرا وجاءا على نسق الكلام[29].

يدو انطلاقا مما سبق ذكره، أن علماء اللغة العربية وعلوم القرآن، قد أطلقوا على نهاية البيت الشعري اسم القافية، وعلى نهاية جملة النثر اسم السجع، وعلى نهاية الآية الكريمة من القرآن الكريم اسم الفاصلة.

ومدلول الفاصلة القرآنية ينساب مع ما قبلها، مما يعطي نسقا جميلا، ونغما روحانيا رائعا، ويوجب للمعنى فهما أكثر دقة ووضوحا.

إننا نحس عند استماعنا إلى القرآن الكريم أو عند تلاوتنا آياتِه الكريمة، أن للفواصل نغماتٍ نفسية ومعنوية، وإيقاعاً يعطي الإنسان روحاً، ويحس عندها بمتعة فنية مؤثرة تبث في الفؤاد الطمأنينة والارتياح[30].

ثالثا: الظواهر الصوتية في فواصل الآيات :

إنَّ في فواصل القرآن الكريم ظواهرَ صوتيةً، تتركز في الحرف الأخير من الكلمة الفاصلة، فإما أن يحذف الحرف، أو يمدّ بحرف، أو يسكن وهو المتحرك، أو يصير متحركا وهو الساكن، أو ينون، إضافة إلى تقديم كلمة عن كلمة وتأخير أخرى.

وقد قال الزركشي (ت:794هـ): (إنه قد كثر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المد واللين وإلحاق النون، وحكمته وجود التمكن من التطريب)[31]

وقال سيبويه (ت:180هـ): (إن العرب إذا ما ترنموا، فإنهم يلحقون الألف والواو والياء ما ينون، وما لا ينون، لأنهم أرادوا مدّ الصوت)[32]

وأبرز الظواهر الصوتية في فواصل الآيات في الخطاب القرآني هي:

1-ألف الإطلاق: من أبرز الظواهر الصوتية في الفاصلة القرآنية، مدّ الحرف الأخير في الفاصلة، وتواصل النغم بالنغم الذي بعده، فتتلاحم الإيقاعات، عناية بالبعد الصوتي، ونسق البيان، لضمان استمرارية

التأثير في نفوس المتلقين، ومن أبرز هذه الظواهر ألف الإطلاق، إذ تلحق الألف بأواخر الكلمات التي تنتهي بحرف متحرك ومثل ذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ (الأحزاب.الآية:10)، وقوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا﴾ (الأحزاب.الآية:66)، وقوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾ (الأحزاب.الآية:67)

إذ إنَّ إلحاق الألف في الكلمات (الظنون) و(السبيل) و(الرسول) ظاهرة صوتية تخدم تناسق النغم والبيان، (لأن فواصل هذه السورة منقلبة عن تنوين في الوقف، فزيد على النون ألف لتساوي المقاطع، وتناسب نهايات الفواصل)[33]

2-هاء السكت: هي من الظواهر الصوتية التي برزت بقوة في سورة القارعة، حيث تزاد هاء ساكنة وتكون لصيقة بالياء، فتتوافق معه، ومن ثم تتوافق الفواصل بعضها مع بعض، قال تعالى: ﴿الْقَارِعَة. مَا الْقَارِعَة. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَة. يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوث. وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوش. فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُه. فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَهْ. وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُه. فَأُمُّهُ هَاوِيَهْ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ. نَارٌ حَامِيَهْ﴾ (القارعة.الآية:1-11)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ. مَا الْحَاقَّه. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّه. كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَه. فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَه. وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَه. سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَه. فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَه. وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَه. فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَه. إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَه. لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَه. فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَه. وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَه. فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَه. وَانشَقَّتِ السَّمَاء فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَه. وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَه. يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَه. فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ. إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَه. فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَه. فِي جَنَّةٍ عَالِيَه. قُطُوفُهَا دَانِيَه. كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَه. وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ. وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ. يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ. مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ. هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ (الحاقة.الآية:1-29)، حيث تتأرجحُ هاء السكت بين عواطف الأمل والفزع، والخشية والذهول.

فالفواصل الواردة في الآيات السابقة من السورتين الكريمتين: (هاويه. كتابيه. حسابيه. كتابيه، حسابيه، ماليه، سلطانيه)، والفواصل المتبقية التي تقرأ بهاء سكت عند الوقف ومنها (راضيه، واعيه، خافيه، عاليه، دانيه، الخاليه، القاضيه...) كلها تحقق -على المستوى الصوتي- جوا يتراوح بين الخشوعِ والأمل والألم، والرضى والندم، فأنتجت جوا عاطفيا دراميا.

3–الهاء: تحقق الهاء في فواصل القرآن الكريم، التنبيه إلى أمر ما، ومثال ذلك قوله تعالى: (يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه. وصاحبته وأخيه. وفصيلته التي تؤيه. ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه) (المعارج.الآية:11–14)، إذ تقع الهاء في الأذن وقعا مُطربا، يسيطر على شعور المستمع، ففي الفواصل (بنيه. أخيه. تؤيه. ينجيه) قد تحقق جوا من الانتباه إلى ما ينتظر الإنسان يوم القيامة من مصير أكيد، مما يقوّي حاسة الإصغاء والانتباه في نفس المستمع.

4– حذف ياء المتكلم: حيث يحذف الحرف الأخير من الكلمة الفاصلة، حتى تتوافق مع الفواصل التي قبلها والتي تليها توافقا صوتيا، عناية بالنسق القرآني، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون. أَأَتَّخِذُ مِن دُونِه آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلاَ يُنقِذُون. إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلاَلٍ مُّبِين. إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُون. قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ. بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (يسين.الآية:22– 27)، حيث حذفت ياء المتلكم في الفاصلتين (لا ينقذون)، و(فاسمعون) والأصل هو:(لا ينقذوني)، (فاسمعوني) إذ إنَّ الوقوف على النون يعطي غنة وطربا للأذن.

ويبدو أن هذه الظاهرة متكررة مطردة في عديد من آيات القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿لكم دينكم وليَ دين﴾ (الكافرون.الآية:6)، وقوله سبحانه: ﴿فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول ربي أكرمنِ. وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهاننِ﴾ (الفجر.الآية:15–16)، حيث حذفت ياء المتكلم في (دين) و(أكرمنِ) و(أهاننِ) .

5– حذف آخر حرف العلة: يحذف حرف العلة من آخر الكلمة بالرغم من عدم وجود عامل يؤدي إلى حذفها، وإنما الحذف لمراعاة نسق الآيات وانسجام إيقاعها ونغمها ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿والفجر. وليال عشر. والشفع والوتر. والليل إذا يسر. هل في ذلك قسم لذي حجر﴾ (الفجر.الآية:1–5)، إذْ حذفت الياء من (يسري) موافقة للفواصل التي قبلها والتي بعدها.

6–التقديم والتأخير: حيث يحصل التقديم والتأخير عناية بترتيب الفواصل، وتحقيقا للانسجام والتناغم الصوتي، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى. قلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى. وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى. فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (طه.الآية:67–70)، فتأخر الفاعل (موسى) عن المفعول به (خيفة)، حتى تكون متوافقة مع الفواصل الأخرى، (الأعلى، أتى، موسى) المنتظمة على الألف المقصورة.

7–الانتقال من فاصلة إلى أخرى: يظهر الانتقال في الفواصل القرآنية بهدف التأكيد على مضمون الخطاب، أو نقل المتلقي من حالة شعورية إلى أخرى قد تكون معاكسة، ففي سورة (التكوير) مثلاً ينبني إيقاع آياتها المقتضب على ظرف المستقبل للزمان المتضمن معنى الشرط غير الجازم (إذا) المناسب للفعل المبني للمجهول،

ما دام الأمر متعلقا بالغيب، قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ. وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ. وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ. وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ. وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ. وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ. وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ. وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ. بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ. وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ. وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ. وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ. وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ. عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ (التكوير.الآية:1-14)، فبعد هذه الفواصل التي تحمل المشاعر الممتلئة رعبا ورهبا في الآيات السابقة يكون الانتقال إلى الفواصل التي تحمل المشاعر الهادئة والمطمئنة يقول تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ. الْجَوَارِ الْكُنَّسِ. وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ. وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ. إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ. مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ. وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ. وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ. وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ. فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ. إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ. لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ. وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (التكوير.الآية:15-29).

ومثال الانتقال في الفاصلة من عاطفة إلى أخرى، ومن واقع إلى واقع آخر، قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا. وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا. وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا. فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا. فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا. يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ. تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ. قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ. أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ. يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ. أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً. قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ. فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ. فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ. هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى. إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى. اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى. وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ (النازعات.الآية:1-19)

إن في هذه الآيات من سورة النازعات إيقاعين موسيقيين منسجمين مع الأجواء الشعورية لتلك السورة، إذ تجلت في البدء المقطوعات القصيرة بألفاظ قوية جدا، أُطلقت فيها أسماء الفاعلين، وكانت سريعة النبض شديدة القوة، ومثالها: (النَّازِعَاتِ غَرْقًا). (النَّاشِطَاتِ نَشْطًا). (السَّابِحَاتِ سَبْحًا). (السَّابِقَاتِ سَبْقًا)، (المدبرات أمرا)، (ترجف الراجفة)، (تتبعها الرادفة)، (قلوب... واجفة)، (أبصارها خاشعة)، (مردودون في الحافرة)، (عظاما نخرة)، (كرة خاسرة)، (زجرة واحدة)، (هم بالساهرة).

وأما الإيقاع الثاني فمتوسط بين اللين والقوة، لتناسبه مع السياق القصصي، ومثال فواصله (حديث موسى) (المقدس اطوى) (إنه طغى) (أن تزكّى) (ربك فتخشى)

ن الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن ما هي إلى صور تامّة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى على نـد قول الرافعي، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقاً عجيباً يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه[34]

إن للفاصلة القرآنية وظيفتين، واحدة متعلقة بالبلاغة، وأخرى متعلقة بجمال الإيقاع، ولا يجوز القول إن الفاصلة جاءت لتتفق مع رؤوس الآيات الأخرى فقط دون الانتباه للغرض المعنوي[35].

ولا تقتصر الفواصل القرآنية على نسق الإيقاع وانسجام النغم وإنما تضاف إليه الأغراض البلاغية، والمعاني الخفية والقوية، ولها نغمات نفسية ومعنوية، وإيقاع يعطي الانسان روحاً، ويحس عندها بمتعة فنية مؤثرة تبث في الفؤاد الطمأنينة والارتياح.

وأبرز ظواهرها الصوتية في الخطاب القرآني هي: ألف الإطلاق، وهاء السكت، الهاء وحذف ياء المتكلم، وحذف آخر حرف العلة والتقديم والتأخير، والانتقال من فاصلة إلى أخرى.

● **القرآن الكريم**، قراءة ورش عن نافع.

1- **المنجد** في اللغة والأعلام. مادة فصل، ط28 ، 1986م، دار الشروق، بيروت، لبنان. ص:585

2- **ابن منظور**: لسان العرب. دار صلدر مادة (فصل) ج11. ص:521

3- انظر: **السيوطي**: الإتقان للسيوطي. مطبعة البابي الحلبي، القاهرة. 1398هـ. ج1 ص:220

4- انظر: **بدر الدين الزركشي**: البرهان في علوم القرآن. تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم مكتبة دار التراث القاهرة. ج2، ص:53

5- **محمد الحسناوي**: الفاصلة في القرآن. دار عمار، عمان، الأردن، ط:2، 2000م. ص:29

6- **الرماني، والخطابي، وعبد القاهر الجرجاني**: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. تحقيق: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة. ط:3، 1976م. ص:97

7- انظر: **الزركشي**: المرجع السابق. ج1، ص:53

8- المرجع نفسه. الصفحة نفسها

9- المرجع نفسه. الصفحة نفسها

10- عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، القاهرة،1975م. ج:2 ص: 289

11- انظر: **الزركشي**: المرجع السابق. ج1، ص:53

12- **جلال الدين السيوطي**: الإتقان في علوم القرآن. تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، 1967م. ج:2، ص:96

13- انظر: **سمير العزاوي**: التنغيم اللغوي في القرآن الكريم. دار الضياء للطبع والنشر والتوزيع، الكويت 2000م. ص: 101-103

14- **محمد الحسناوي**: المرجع السابق. ص: 29

15- **فضل عباس** وسناء عباس: إعجاز القرآن الكريم.المكتبة الوطنية،عمان،الأردن، ط1991م. ص: 225

16- **مناع القطان**: مباحث في علوم القرآن. مكتبة وهبة، القاهرة، ط1990م. ص: 136

17- **فاضل السامرائي**: الفاصلة القرآنية. دار عمار للنشر، ط1، 1999م. ص: 130

18- **جلال الدين السيوطي**: المرجع السابق. ج2، ص: 96

19- انظر: المرجع نفسه. ج:3، ص: 292

20- **محمد شهاب العاني**: أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي من الفتح حتى السقوط. دار دجلة، بغداد. د.ت . ص: 71

21- **كاصد الزيدي**: الجرس والايقاع في تعبير القرآن. مجلة آداب الرافدين. كلية الآداب جامعة الموصل. العدد:60، 2007م، ص: 351

22- **فاضل السامرائي**: المرجع السابق. ص: 38

23- **جلال الدين السيوطي**: المرجع السابق. ج:3، ص:293.

24- **ابن سنان الخفاجي**: سر الفصاحة. تحقيق: عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، 1969م. ص:166

25- **محمد حسين علي الصغير**: تطور البحث الدلالي. دراسة في النقد البلاغي واللغوي مطبعة العاني بغداد 1988م. ص:70

26- انظر: **عائشة بنت الشاطىء**: التفسير البياني للقرآن الكريم. دار المعارف بمصر القاهرة، 1968م. ج:1، ص:207

27- انظر: **ابن الأثير**: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة مصطفي البابي، القاهرة، 1939م. ج:2، ص:39

28- انظر: **إبراهيم أنيس**: من أسرار اللغة. مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، ط:8، 2010م ص: 312

29- انظر : **أحمد مطلوب**: بحوث لغوية. دار الفكر، عمّان، ط:1، 1987م. ص: 57

30- **فاضل السامرائي**: المرجع السابق. ص: 38

31- انظر: **الزركشي**: المرجع السابق. ج:1، ص:68

32- **سيبويه**: المرجع السابق. ج:2، ص: 298

33- **الزركشي** : المرجع السابق. ج:1، ص:61

34- انظر: **عائشة بنت الشاطيء**: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل بن الأزرق. دار المعارف، القاهرة، مصر 1971م. ص: 249

35- انظر : المرجع نفسه. ص: 278